

# **الفكر السياسي والاجتماعي للمؤيد في الدين الشيرازي**

**الدكتور غسان بركات**

**قسم التاريخ - كلية الآداب**

**جامعة تشرين - اللاذقية**



## الفكر السياسي والاجتماعي للمؤيد في الدين الشيرازي

الدكتور غسان بركات

قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة تشرين - اللاذقية

### الملخص

تكمن أهمية هذا البحث في كونه يسلم الضوء على مختلف الجوانب الفكرية للداعية والمفكر العربي الإسلامي - المؤيد في الدين الشيرازي - الذي عاش في القرون الوسطى والذي لم ينصفه التاريخ العربي الإسلامي، بالرغم من الأثر الكبير الذي تركه هذا المفكر في حياة الأمة العربية والإسلامية في تلك الفترة.

فالمؤيد في الدين من أشهر فلاسفة المذهب الاسماعيلي، وقد عُرف في الأدب العربي من خلال مناظراته مع الشاعر أبو العلاء المعري في (( تحريم أكل اللحم ))، وهو الذي وصفه المعري نفسه بقوله: (( ولو ناظر أرسطاطاليس لجاز أن يفحمه، أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه )).

وفي هذا البحث تم رصد مختلف الجوانب الأساسية المضيئة في حياة هذا الداعي منذ ولادته وحتى وفاته، مستعرضين العوامل التي ساهمت في تكوين وعيه وفكره، وأهم جوانب فكره السياسية والاجتماعية والاقتصادية وعلاقته بالسلطة ودوره السياسي، كما جرى تسليط الضوء على دوره الكبير في ترسيخ الكثير من القيم في حياة الأمة العربية والإسلامية.

## المقدمة:

إن المنتبع لتاريخ الدعوة الفاطمية وأثرها على المجتمعات الإسلامية خلال قرون عديدة، يستنتج بشكل مباشر بأن هذه الدعوة العقلانية الفكرية التي اعتمد عليها الأئمة الفاطميون، كانت تركز على نظام دقيق صعب مستصعب، وبأن النظام الفاطمي يقوم على نظام تراتبي يقع في قمته مرتبة الداعي الذي أخذ على عاتقه نشر الأفكار الفاطمية في كافة البلدان والأمصار.

ولقد اعتبر الفاطميون من حيث الأصول والأحكام ((الدعاة)) من حدود الدين المفروضة طاعتهم على المؤمنين، كطاعة الإمام الذي يُعتبر المحور الأساسي الذي تدور عليه كل العقائد عملاً بقوله سبحانه وتعالى: ((يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)). ومن الطبيعي أن يوجه الإمام الفاطمي جل اهتمامه إلى ترتيب الدعوة وتنظيمها تنظيمًا دقيقًا ينسجم مع المهمات الخطيرة الملقاة على عاتق ((الدعاة)) في مختلف بقاع الأرض، لذلك تم وضع شروط قاسية لاختيار الدعاة، من حد المستجيب إلى حد داعي الدعاة، مما أعطى الدعوة زخمًا وقوة، مهدت السبيل لنشر الأفكار الفاطمية، بشكل مثير في مختلف أنحاء العالم الإسلامي.

والشروط التي وضعت للداعي بغاية القسوة والدقة والصلابة، حيث يتوجب عليه أن يجسد جميع الفضائل العلمية في الظاهر والباطن، وأن يكون مؤمنًا بالدين الذي يبشر به بقوة ويقين وإخلاص، وأن يكون معروفًا بالصبر والرأي والفتنة والذكاء والعفة، والمروءة والشجاعة، والسخاء والتدبير، والأدب والعدل، لأنه سيكون طبيباً للأرواح، ومهندساً للعقول، وخبيراً بأنواع التربة، ليعرف كيف يزرعها ببذور الحقيقة.

وإذا كانت هذه الشروط أساسية لتحديد شخصية ((الداعي)) فإن خير من يجسد هذه الشروط هو العالم الكبير المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي الدعاة الذي عُرف

في الأدب العربي بمناظراته مع الداعي والشاعر أبو العلاء المعري في ((تحريم أكل اللحم))، ويُعتبر المؤيد من أشهر فلاسفة المذهب الإسماعيلي (١).

وتكمن خطورة هذا الداعي بأنه استطاع أن يُدخل ملكاً من ملوك ((البويهيين)) في دعوته، كما أنه حاول القضاء على الدولة العباسية بتأليب أمراء العراق والشام على القائم بأمر الله العباسي، ونجحت مساعيه في إقامة الدعوة لإقامة المستنصر الفاطمي على منابر بغداد سنة ٤٥٠هـ كما أنه استطاع أن يعيد مدينة حلب إلى أملاك الفاطميين.

والمؤيد في الدين هو الذي وصفه ((أبو العلاء المعري)) بقوله: ((ولو ناظر أرسطاطاليس لجاز أن يفحمه أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه)) (٢).

وبالطبع لا يمكن لأي باحث أن يدرس أو يقرأ أو يكتب عن الدعوة الإسماعيلية وعلماء ودعاة الإسماعيلية وفلاسفتها، وتأثير هذه الدعوة العقلاني والفكري على المجتمعات الإسلامية خلال قرون عديدة إلا أن يتوقف مطولاً عند أبرز دعواتها ((المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي)) الذي عُرف في الأدب العربي كما أشرنا سابقاً بمناظراته مع الداعي والشاعر أبو العلاء المعري في ((تحريم أكل اللحم)). فمن هو هذا الداعي؟

### أولاً: المؤيد في الدين الشيرازي داعي الدعوة:

هو هبة الله بن أبي عمران موسى بن داؤد الشيرازي - ولد في شيراز بفارس في القرن الرابع للهجرة ضمن أسرة اتخذت العقيدة الفاطمية مذهباً لها، فأبوه كان حجة جزيرة فارس في عهد الخليفة الفاطمي ((الحاكم بأمر الله)) - فنشأ هبة الله وأُعد إعداداً علمياً ليحتل مكان والده في تلك الجزيرة، وما كاد يبلغ أشده حتى استوعب كل ما يتعلق بالدعوة وأسرارها وتنظيماتها الظاهرة والباطنة، فكتب أبوه الخليفة الحاكم بأمر الله متوسلاً أن يولي ابنه ((هبة الله)) أمر الدعوة في فارس من بعده،

ولكن الخليفة أجابه بأن نظام الدعوة لا يقر بالوراثة، فإذا كان هبة الله يستحق أن يخلف والده عن جدارة ومقدرة فليثبت ذلك عملياً.

وبالفعل أثبت ((هبة الله)) بأنه جدير بهذا المنصب بعد أن وهب الدعوة كل ما يتمتع به من ذكاء وعبقريّة، فخلف والده بعد وفاته، كرس جهوده لرفع مستوى الأتباع في تلك البلاد، فازداد عددهم وانتشرت أخباره كانتشار النار في الهشيم، واستطاع من خلال قدراته العقلية وحججه المنطقية أن يقنع أحد ملوك البويهيين ((أبي كالجار)) سلطان شيراز من الدخول في دعوته، مما سهل له أمر إجهار معتقداته الفاطمية في بلد يدين للعباسيين بالولاء دون خشية، إلا أن العباسيين شعروا بخطورته وتآمره عليهم فحاولوا إلقاء القبض عليه إلا أنه فر إلى مصر مقر الخلافة الفاطمية وأقام بها زهاء ثلاثين عاماً، عمل خلالها على نشر العقائد الإسماعيلية عن طريق إلقاء المحاضرات العلمية والمجالس التأويلية، فاستمع له جمهرة من المصريين وآخذوا عنه علوم الدعوة وفلسفتها، وعنه أيضاً أخذ اليمينيون والجزائريون فأدانوا له بالأستاذية في علوم الدعوة.

وفي القاهرة أنشد المؤيد أكثر قصائده في مجالسه التي بلغت ((٨٠٠)) مجلس تحدث فيها عن العقائد الإسماعيلية وعلوم دعوته. وبعد مقابلته للخليفة الفاطمي المستنصر بالله في مصر في آخر شعبان سنة ٤٣٩هـ.

تقلد المؤيد ديوان الإنشاء وزيد في رزقه وعلا قدره في نظر الإمام المستنصر وكان المؤيد بارعاً في الكتابة باللغة العربية والفارسية فتوسع نطاق الدعوة الفاطمية إلى بغداد حيث نجحت خطة المؤيد في نشر الدعوة الإسماعيلية في الطرق ونشر خطب للإمام المستنصر هناك، إلا أن الصراع السياسي والعسكري أطاح بأحلام ((هبة الله)) عندما استطاع القائد العسكري ((طغرل بيك)) من الانتصار على جيوش ((البساسيري)) المؤيد للدعوة الفاطمية وخروج ((هبة الله)) من بغداد.

ونظراً للجهود التي بذلها ((المؤيد)) في نشر الدعوة الفاطمية تم تعيينه من قبل الإمام الاسماعيلي ((المستنصر بالله)) داعياً للدعاة سنة ٤٥١هـ.

إلا أن المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي توفي في القاهرة سنة ٤٧٠هـ ودفن في دار العلم بجوار القصر وقد صلى عليه المستنصر (٣).

وقد كان لقوة حججه المنطقية والعقلية دوراً أساسياً في نشر الدعوة الفاطمية حتى بين ملوك وقادة في عصر الدولة العباسية. وقد اعترف ((أبي العلاء المعري)) أثناء مناظرته له بأنه في طليعة علماء عصره. فقال: ((وسيدنا الرئيس الأجل المؤيد في الدين لازالت حجته باهرة، ودونته عالية، ولو ناظر أرسطاطاليس لجاز أن يفحمه أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه)) (٤).

ولقد ترك داعي الدعوة مؤلفات عديدة قيمة، ومن أهم مؤلفاته:

- ١- **المجالس المؤيدية**: في ثمانمائة مجلسٍ من مجالس الحكمة التي كان يلقيها في ((دار العلم)) حيث جمع هذه المجالس وبوبها حسب موضوعاتها الفكرية الداعية المطلق ((حاتم بن ابراهيم الحامدي)) وسماها ((جامع الحقائق)) وفي هذا السفر نرى مناظرات المؤيد في الدين وردة على بعض الفرق.
- ٢- **ديوان المؤيد في الدين**: مجموعة من القصائد التي أنشدها في مدح الأئمة، وتعرض فيها لحياته، ووصف أحواله، وأشار إلى جهوده في نشر الدعوة، والديوان عامر بالإشارات والرموز والمصطلحات العقائدية الفاطمية.
- ٣- **السيرة المؤيدية**: وهو كتاب يتحدث فيه المؤيد في الدين عن الحياة السياسية والاجتماعية في ((فارس)) والعراق ومصر من سنة ٤٢٩هـ إلى سنة ٤٥٠هـ. ويُعتبر سجلاً للوثائق التي تبودلت بين المؤيد وأمراء العرب، وبينه وبين الوزراء المصريين إبان ثورة ((البياسيري)).
- ٤- كتاب شرح المعاد.

- ٥- كتاب الإيضاح والتبصير.
- ٦- كتاب الابتداء والانتهاء.
- ٧- رسالة تحريم اللحوم.
- ٨- القصيدة الاسكندرانئية.
- ٩- تأويل الأرواح.
- ١٠- نهج العباد.
- ١١- المسألة والجواب.
- ١٢- ترجمة أساس التأويل إلى الفارسية.
- ١٣- **المجالس المستنصرية**: وهذا الكتاب مشكوك في نسبته إلى المؤيد في الدين.

- **المجالس المؤيدية**: وتضم ثمانمائة مجلسٍ بثمان مجلدات خصصها المؤيد في الدين الشيرازي لطبقة من الدعاة والأجنحة والمأذونين. وهي بما تضمنته فوق علوم الشريعة والظاهر والمدخل التمهيدي إلى علم الباطن والحقائق. ومن المعروف أن هذه المجالس التي كان يلقيها داعي الدعاة في دار العلم على شكل محاضرات ثم يطرحها بعد ذلك للمناقشة والاستفسار قد فاقت شهرته الآفاق.

والمواضيع التي عالجها المؤيد في الدين في محاضراته هي: مفهوم التوحيد عند الفاطميين، والإبداع، والوجود والموجدات، وترتيب العوالم السفلية والعلوية، والوحي، وعالم الآخرة، والمعاد، والبعث، والقيامة، والجنة والنار وإثبات الوصاية، والمثل والممثل، والقيام بالقوة، والقيام بالعقل، وكيفية أخذ العهد والميثاق بالإضافة إلى الردود القصيرة على القائلين بالرجعة والتناسخ والتقصص، وعلى الحشوية، والمعطلة والمعتزلة، والصوفية، والغلاة من الشيعة، والفلاسفة الملحدين وغير ذلك من المواضيع الهامة (٥).

### ثانياً: الفكر السياسي والاقتصادي للمؤيد:

أشارت الكاتبة ((فيرينا كلين)) بأن السيرة الذاتية للمؤيد ليست فقط مصدراً تاريخياً غنياً لتنظيم وعمل الدعوة الإسلامية، لكنها مصدر قيم للتاريخ الإسلامي في القرن الحادي عشر، حيث كان الفاطميون والعباسيون والبويهيون والسلاجقة في تنافس على القيادة السياسية والعسكرية في العالم الإسلامي (٦).

والإمام الشيرازي يتعامل مع المسألة السياسية كمن خلال رؤية تستند إلى فهم واقعي يأخذ بعين الاعتبار التراكمات الاجتماعية والاقتصادية لمجتمعه، حيث أنه لا يمكن تجريد السياسة عن علاقتها بالاقتصاد والمجتمع (٧).

وهذا ما أكده الشيرازي بقوله: ومن فهم السياسة أن يعرف الإنسان ارتباط الأمور بعضها ببعض وإن أي أمر يؤثر في أي أمر آخر (٨).

ومما لا شك فيه فإن تأسيس الإمام الشيرازي لهذه النظرة السياسية التي ترتبط بالجانب الاجتماعي والاقتصادي دفعته كي يعالج المسألة من جانبين ((الجانب الداخلي والجانب الخارجي)) حيث أشار الشيرازي إلى أنه من الواجب أن نوحّد الجهود ونعيد وحدتنا ووحدة أمتنا عن طريق نشر الوعي الإسلامي فمن الواجب على كل مسلم أن ينشر الوعي الإسلامي (٩).

فالشيرازي دعا إلى تأصيل المسألة السياسية في الفكر الإسلامي والبدء في صياغة السؤال حول مفهوم السياسة، وهو يضع مدلول هذه الصياغة في إطار الرد على ما يثار من المآزق الحاضرة في عملية التغيير السياسي. فليس من المبالغة القول أن الفشل الواضح لأغلب الفقهاء والفلاسفة في مجال الفكر السياسي والعجز عن تقديم نظرية سياسية واقعية قابلة للتطبيق، كان سبباً لخيبات أمل أكبر في مجال التطبيق. لقد أخضع الشيرازي المسألة السياسية للبعد الثقافي الواعي عبر مرور نظريته السياسية

بصراع فكري واجتماعي وعملي جاد مع واقع متخلف وظروف عالمية متسارعة التغيير (١٠).

إن ارتكاز نظرية الإمام الشيرازي السياسية على الجانب الاجتماعي والاقتصادي راجع إلى اكتشافه ازدياد مساحة التجرد الفكري وأن هذا التجرد في الفكر لا يعدو أن يكون انعكاساً للتجمد على أرضية المجتمع نفسها، يرجع بدوره إلى أسباب اجتماعية بحتة (١١). فالوصول إلى رؤية متكاملة تنهض على ضوء الغوص الاجتماعي في أعماق المجتمع، ومن ثم بحث هذا المجتمع وما له من تجليات تساهم في حراكه الاجتماعي.

فالإمام الشيرازي يشير إلى المشكلة الأهم في الرحم التي تلد الحاكم، وهي ((الأمة))، فالأمة إذا صارت كالجسم الضعيف تسلط عليه المرض، بينما الأقوياء لهم المناعة في طرده من أجسامهم (١٢).

لذلك وضع الإمام الشيرازي إطار الشورى الذي يجمع تعدد وجهات النظر ويمهد للأمة أن تأخذ نصيبها من الممارسة السياسية المتداخلة مع حيثيات وجودها، فكل شيء يرتبط بشؤون الأمة لا بد فيه من الاستئثار سواء في أصل الفعل أو توابعه (١٣). لأن منع المجتمع من الإفصاح عن طاقاته وعن امتلاكه لممارسة دوره في تأصيل المشاركة السياسية تجعله في منأى عن التطور في مختلف جوانب الحياة.

إن اعتماد الإمام الشيرازي نظريته (( الشورى)) كأطروحة في الحكم مرده إلى هاجس تحقيق التلاحم بين المجتمع من حكام ومحكومين مستنداً إلى التجربة الإسلامية التي حصلت في الزمن الماضي والتي تبقى صالحة بمضمونها وأساسها، حيث أوجدت مناخاً من الاستقرار الاجتماعي المنشود، ثم إن الاستشارية سواء في الحكومات الزمنية مما تسمى ((الديمقراطية)) أو في الحكومة الإسلامية هي صمام الأمان الذي يردع الطبقة الحاكمة من الميل إلى متطلبات المجتمع من بناء وتأسيس آفاق التنمية في

كافة نواحي الحياة، ولا يكفي للحاكم الإسلامي أن يطبق مبادئ الإسلام وقوانينه بدون قانون الشورى، لأن الناس يرون أنه لم يطبق قانون الإسلام الذي هو الشورى فيفضون من حوله ثم يثورون عليه حتى إسقاطه (١٤).

وحيثما ينظر الإمام الشيرازي لمسألة الشورى وكيفية تحققها في المجتمع لا يفتقر فوق أساسيات الفعل السياسي الصحيح في إيجاد ضمانات الأمن الاجتماعي لهذا المجتمع، لذلك نراه يؤصل مطلب الحرية بالقول: ((الأصل في الإنسان الحرية)) (١٥). إنه يعي ضرورتها وخاصة ضمن بنية المجتمع الإسلامي الذي يغيب فيه مفهوم الحرية تحت مطلب العدالة، ولا تخلو كتابات المفكرين الإسلاميين من إبراز جانب العدالة على حساب مطلب الحرية وعلى وجه الخصوص، الغزالي والماوردي، حيث ارتكزا في بناء النظرية السياسية الإسلامية على مفهوم العدالة.

أن المسيرة السياسية للإمام الشيرازي عملية ساهمت في بلورة مفاهيم سياسية تتماهى مع حاجات الواقع الاجتماعي. أما المفهوم الإسلامي للسياسة كما يستوضح من استجلاء فكر الإمام الشيرازي، فهو مفهوم أوسع من وظيفة الدولة وأوسع من وظيفة زمن محدد ومكان محدد، لأنه فكر منبثق من الفلسفة الإسلامية للحياة، واعتبار أجزائها وحدة متكاملة مندمجة لأجزاء موحدة الأركان، منها جزء اسمه السياسة (١٦).

ولم يغفل الإمام الشيرازي قضية التنمية السياسية في تنظيره السياسي، حيث استند إلى ركيزتين أساسيتين في بناء العملية السياسية في المجتمع وهما: الوعي والتنظيم السياسي. لأن الرؤية السياسية الإسلامية للإمام الشيرازي تقوم على شورى المراجع والحرية والتقدم الاجتماعي والمشاركة السياسية، وكل هذه الضوابط تساعد على تبني العمل الحزبي (١٧).

إن الوصول إلى حياة سياسية ناضجة تكسب المجتمع التوجه الواعي والهدف الواضح، وهذا لا يمكن أن يتم دون الاعتماد على بديهيات العمل السياسي ((الوعي السياسي،

التنظيم السياسي)) لقد وعى الإمام الشيرازي هذه الحاجات الخطيرة وأولويتها في تكوين المجتمع سياسياً، لذا أطلق التساؤل في كتاباته السياسية، فهل يمكن العيش في مثل هذا الجو المشحون بالتنظيمات بدون تنظيم ؟ أم أن النتيجة لن تكون إلا التبعثر والتمزق والانهييار (١٨).

لقد تفاعل الإمام الشيرازي مع قول الإمام علي: ((أوصيكم بتقوى الله ونظم أمركم)) بخليفة استراتيجية تضع أمامها التحديات المعاصرة، فإننا بدون التنظيم لن نستطيع مواجهة التحديات المعاصرة، ولن نتمكن من الوقوف أمام الشرق والغرب (١٩). من هذا المنطلق نرى الإمام الشيرازي يرى بأن التنظيم يشكل الأرضية الصلبة لكل عمل هادف حيث اعتبره سنة كونية (٢٠).

الإمام الشيرازي يدافع بقوة وحرارة عن حق الانتخاب، فالأمة هي التي تختار حاكمها في النظرية الإسلامية حسب تصوره، والحاكم الإسلامي يجب أن يجمع بين شرطين أساسيين: الأول أن يكون مرضياً لله سبحانه وتعالى، والثاني أن يكون منتخباً من قبل أكثرية الأمة (٢١).

والقارئ لتاريخ الإمام الشيرازي السياسي يلاحظ بقوة كيف اتخذ من أصالة الحرية النقطة الجوهرية في نسيج رؤيته السياسية وتفصيلاتها في قيام الدولة، وتشكيل الأحزاب واختيار الحاكم الذي حدد له الوصول إلى الحكم عن طريق الانتخاب، وبهذا الصدد يقول الشيرازي: ((الحكم في الإسلام ليس رديئاً ولا ديكتاتورياً، كما أن الحاكم الذي يأتي إلى الحكم عبر انقلاب عسكري مرفوض من قبل الإسلام حتى لو كان الحاكم مسلماً، إذ أن الإسلام يشترط إرادة الأكثرية، وهذا الانتخاب ينبغي ألا يكون مصحوباً بالمظاهرات والاحتفالات كما أنه من الضروري أن تجري انتخابات عامة بين فترة وأخرى كل أربع أو خمس سنوات مثلاً لانتخاب الحاكم العام والحكام المحليين حسب رأي الأكثرية أيضاً (٢٢).

اجتهد الإمام الشيرازي وبذل جهداً فكرياً سياسياً متميزاً من أجل زحزحة الأفكار والتصورات الماضية، التي أصبحت قاصرة عن سد النقص في التنظير لأطروحات الفكر السياسي الإسلامي، لذا يبدأ الإمام الشيرازي أطروحته عن الثورة بتعريفها: فيعتبرها ((انقلاباً اجتماعياً)) أي أنها عمل تغييرى هائل يتناول الحياة الفكرية والسياسية والاقتصادية بالتغيير والتبديل (٢٣). وبالرغم مما يشير إليه الإمام من الحاجة إلى حدوث تحولات ديناميكية تاريخية عميقة تمس جذور المشكلة من أساسها، وتحتاج إلى وقت طويل لكنها بالرغم من ذلك تؤدي بالنتيجة إلى رؤية تاريخية ونظرة شمولية. فقد جاهد في تشييد هذه الرؤية والنظرة والجمع بينهما بصورة فنية رائعة، راعى فيها حق العالم من جهة وحق الأمة من جهة ثانية.

ويشترط الإمام الغزالي لنجاح العمل التغييرى أو النهضة أو الوصول إلى تأسيس ((الدولة الإسلامية)) توفر عوامل ذاتية وموضوعية في نفس الوقت. وما الدولة إلا ظاهرة من ظواهر المجتمع الطبيعى، تولدت حسب قانون طبيعى، فحكمها إذن مندرج تحت حكم المجتمع العام وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى حنكة القيادة السياسية العليا ((وهي شورى الفقهاء)) التي يفترض فيها قيادة العمل التغييرى أولاً ثم قيادة التطور النهضوى ثانياً، ومدى حرصها على تطبيق مقولات نظريتها في التنمية والنهضة وعلاقتها الخارجية (٢٤).

وما يميز فكر الشيرازي هو تأكيده على مسألة الحرية وأصالتها وجعلها المرتكز الأساسى لانطلاق مفاهيمه وبناء أنساق فكره السياسى. فالحرية هي الأصل فى الإنسان، أي أن الإنسان مفطور بطبعه وتكوينه وتأسيسه على ((الحرية)) فهي ليست هبة أو مكسباً أو مغنماً وإنما هي ضرورة (٢٥).

فالإمام الشيرازي لا يترك الحرية بدون أنظمة تديم استمراريتها، ولكنه كما أوجب فتح باب الحريات وإيجاد شروطها وتوفير شرائطها من ناحية، نجده يحددها بحدود

الصلاح والحكمة من ناحية أخرى. وهذا شأن القيادة الصحيحة للفرد والجماعة (٢٦). والإمام الشيرازي يرى بأن الإسلام دين الحرية بكل معنى الكلمة، والحرية الإسلامية أكثر من الحرية الغربية بكثير، وقد استنبط الفقهاء من الآيات والروايات القاعدة الفقهية المشهورة (الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم) وهذه القاعدة تعطي ألوف الحريات للإنسان، فهو حر في أن ينتخب مرجع تقليده، وهو حر في انتخاب إمام جماعته، وهو حر في أن ينتخب قاضيه، وهو حر في أن يسافر ويبني ويزرع ويتاجر ويكتسب ويسبق إلى المباحات ويستملك الأراضي (٢٧).

ولقد انتصر الإمام الشيرازي للحرية في السؤال الذي واجهه الفكر السياسي الإسلامي، أيهما أضمن للأخرى، الحرية أم العدالة؟ إن الإمام الشيرازي يلزم تحقيق العدالة بضمان الحرية، حيث الحرية في الإسلام هي حرية الواجبات والوقوف عند حدود التكليف الشرعي، فهي ((تكليف)) حسب عبارة الأصوليين، لذلك فالحرية هي أن نمارس مسؤوليتنا ممارسة إيجابية، وأن نفعل الواجب طوعاً، بإتيان الأمر واجتتاب النهي (٢٨).

لقد دعا الفكر السياسي للإمام الشيرازي إلى استنباط قاعدة سياسية خطيرة جداً تدعو إلى مناهضة الاستعمار بكافة أشكاله عن طريق أساليب التوعية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، كما أنه حارب التبذير الفردي والجماعي وأمر بترشيد الإنفاق لما فيه صالح الشعوب، بمعنى تنظيم أمور الاقتصاد لتقوية البلاد الإسلامية كي يستطيع مقاومة إغراءات الدول الأخرى (٢٩).

### وفي خاتمة هذا البحث نصل إلى النتائج التالية:

١- إن الدعوة الفاطمية دعوة عقلانية فكرية كان لها تأثير بالغ الأهمية على المجتمعات الإسلامية خلال قرون عديدة، وقد طرحت الكثير من القضايا الفلسفية والكوزمولوجية كمسألة ((النفس)) و((العقل)) وفكرة السلم الصاعد والذي يعني

التقدم الذي تحوزه النفس الإنسانية عن طريق عودتها صعوداً نحو خالقها، وبهذا الشكل تتشكل عقيدة النجاة ((سويتز بولوجي)) الاسماعيلية المعادل لنظرية أصل العالم ((كوزمولوجي)) (٣٠).

٢- يعتبر المؤيد في الدين - هبة الله الشيرازي - من أشهر فلاسفة المذهب الاسماعيلي ومن أكثرهم تأثيراً بالناس، لما يمتلكه من قدرات عقلية وحجج منطقية تركت أثرها حتى على الشاعر العربي المعروف ((أبي العلاء المعري)) الذي وصف المؤيد بقوله ((ولو ناظر أرسطاطاليس لجاز أن يفحمه، أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه)) (٣١).

٣- إن السر الكامن وراء قيام الدولة الفاطمية ونجاحها، وتأثيرها في وسطها الإسلامي هو قيامها على أسس وقواعد متينة، العلم، التقوى، السياسة، وقد أدرك المؤيد في الدين أهمية هذه الأسس في تمتين وحدة الأمة، وبأن وحدة الأمة وقوتها تكون عن طريق نشر الوعي بين المسلمين.

٤- المؤيد في الدين الشيرازي يعتبر أول من دعا إلى تأصيل المسألة السياسية في الفكر الإسلامي رابطاً بين الجانب السياسي والجوانب الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع الإسلامي معتبراً أن الجمود الفكري في المجتمع يعود إلى جمود الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وقد سبق كارل ماركس في رؤيته لطبيعة العلاقة بين ((البنى التحتية)) و((البنى الفوقية)) وكيف أن البنى التحتية ((المادية)) تعكس البنى الفوقية ((السياسية)) والفكرية والدينية... الخ (٣٢).

٥- إن أهم ما يميز فكر المؤيد في الدين الشيرازي هو تأكيده على مسألة الحرية وأصالتها واعتبارها المرتكز الأساسي لانطلاق مفاهيمه وبناء أنساق فكره السياسي، فالحرية هي الأصل في الإنسان أي أن الإنسان مفطور بطبعه وتكوينه

وتأسيسه على ((الحرية)) فهي ليست هبة أو مكسباً أو مغنماً، وإنما هي ضرورة إنسانية.

٦ - الإمام الشيرازي انتصر للحرية في السؤال الذي واجه الفكر السياسي الإسلامي، أيهما أضمن للأخرى، الحرية أم العدالة؟ فالشيرازي يلازم تحقيق العدالة بضمان الحرية، حيث أن الحرية في الإسلام هي حرية الواجبات والوقوف عند حدود التكيف الشرعي، فهي ((تكليف)) حسب دعوى الأصوليين، فالحرية هي أن نمارس مسؤوليتنا ممارسة إيجابية، وأن نعمل الواجب طوعاً، بإتيان الأمر واجتناب النهي.

### مصادر ومراجع البحث

- ١- أسد الغاية / لابن الأثير، دار الشعب، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٤م، ص ٢١١.
- ٢- سيرة المؤيد في الدين داعي الدعاة، ترجمة حياته بقلمه، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين، القاهرة، دار الكتاب المصري، ١٩٤٩، ص ٢٤.
- ٣- The History of the Ismailia , D , Awat.j.r.a.s. pott, 1932
- ٤- معجم الأدباء، الجزء الثالث، ص ٢٠٢.
- ٥- ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، تقديم وتحقيق محمد كامل حسين، دار الكتاب المصري، ١٩٤٩، ص ١٦٧.
- ٦- مذكرات رسالة: رجل الدولة والشاعر الاسماعيلي المؤيد في الدين الشيرازي، لندن ونيويورك، ب. تورس بالتعاون مع معهد الدراسات الإسماعيلية، ٢٠٠٣، ص ١٩.
- ٧- ممارسة التغيير: الإمام الشيرازي: مؤسسة الفكر الإسلامي للثقافة والإعلام، بيروت، ١٩٩٠، ص ١١.
- ٨- ممارسة التغيير: الإمام الشيرازي: مؤسسة الفكر الإسلامي للثقافة والإعلام، بيروت، ١٩٩٠، ص ١٣.
- ٩- السبيل إلى إنهاء المسلمين: الإمام الشيرازي، مؤسسة الفكر الإسلامي، ١٩٩٤.
- ١٠- دراسات في فكر الإمام الشيرازي: إياد موسى، المسلم الحر، واشنطن، ٢٠٠١.
- ١١- سمير أمين وبرهان غليون: حوار الدولة والدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٦.

- ١٢- عبد الله العروي: مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٣.
- ١٣- عبد الله العروي: مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٣، ص٦.
- ١٤- عبد الله العروي: مفهوم الدولة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٨٣، ص٧.
- ١٥- ملامح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي: محمد غالب أيوب، دار المنهل، بيروت، ١٩٩١.
- ١٦- دراسات في فكر الإمام الشيرازي: إياد موسى، المسلم الحر، واشنطن، ٢٠٠١.
- ١٧- ملامح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي، محمد غالب أيوب، دار المنهل، بيروت، ١٩٩١.
- ١٨- السبيل إلى إنهاء المسلمين: الإمام الشيرازي، مؤسسة الفكر الإسلامي، ١٩٩٤.
- ١٩- السبيل إلى إنهاء المسلمين: الإمام الشيرازي، مؤسسة الفكر الإسلامي، ١٩٩٤.
- ٢٠- ملامح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي، محمد غالب أيوب، دار المنهل، بيروت، ١٩٩١.
- ٢١- ملامح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي، محمد غالب أيوب، دار المنهل، بيروت، ١٩٩١، ص١١٠.
- ٢٢- ملامح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي، محمد غالب أيوب، دار المنهل، بيروت، ١٩٩١، ص١١٢.

- ٢٣- ملامح النظرية السياسية في فكر الإمام الشيرازي، محمد غالب أيوب، دار المنهل، بيروت، ١٩٩١، ص ١١٣.
- ٢٤- دراسات في فكر الإمام الشيرازي: إياد موسى، المسلم الحر، واشنطن، ٢٠٠١.
- ٢٥- دراسات في فكر الإمام الشيرازي: إياد موسى، المسلم الحر، واشنطن، ٢٠٠١.
- ٢٦- السياسة، الإمام الشيرازي، دار العلوم، بيروت، ١٩٨٩، ص ١٠٨.
- ٢٧- الحرية الإسلامية، الإمام الشيرازي، دار الفردوس، بيروت، ١٩٨٩، ص ١١٢.
- ٢٨- الحرية الإسلامية، الإمام الشيرازي، دار الفردوس، بيروت، ١٩٨٩، ص ١١٣.
- ٢٩- دراسات في فكر الإمام الشيرازي: إياد موسى، المسلم الحر، واشنطن، ٢٠٠١.
- 30- Ismailia Neo-Platonism Pawl Walker early philosophical. shi , ism the of .abou agued alssitistani: Cambridge
- 31- Dafary , Farhdi Ismailia in the medieval Muslim societies , chpetar ,4: the .Ismailia Awa and the Fatimi Awla , London , 2005 , pp-52-88
- 32- Hansberger , Allies. Nasir Khusraw: the Ruby of Badakshan , London , 2000, pp – 62 – 69.